عبد القادر بوطبل

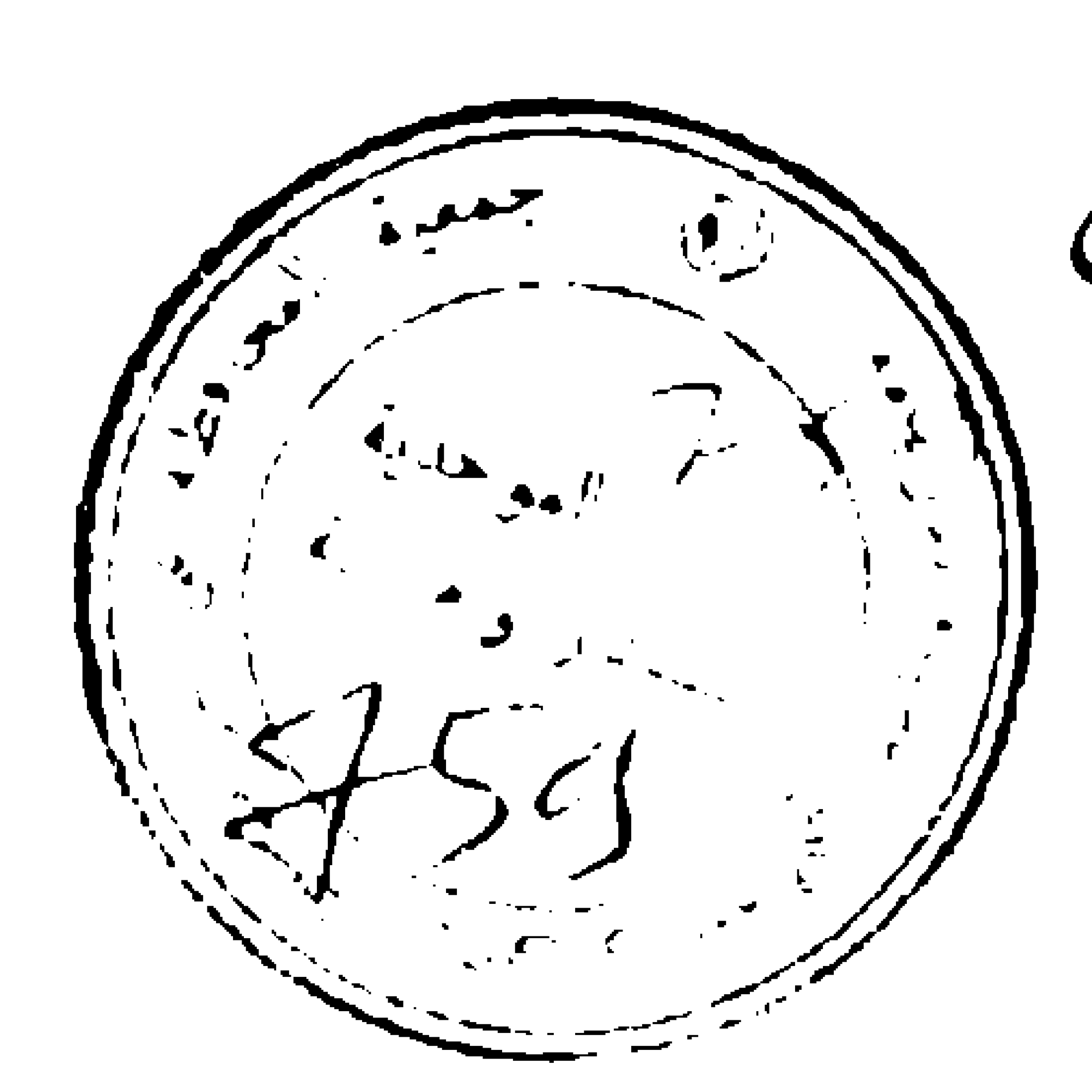
تاريخ

مدينة حمو موسى

في الماضي والحاضر

1

المؤسسة الوطنية للكتاب
ENTREPRISE NATIONALE DU LIVRE



عبدالقادر بوطبل

تاريخ مدينة حمو موسى

في الماضي والحاضر

المؤسسة الوطنية للكتاب
3 ، شارع زيروت يوسف
الجزائر

رقم النشر : 85/2104

الجزائر — 1986

تاريخ مدينة حمو موسى

في

الماضي والحاضر

تأليف
عبد القادر بوطبل
أستاذ تكميلي فرع العلوم الاجتماعية

بنو وراغ بطن من بطون قبائل بني توجين الذين ينتمون الى القبيلة الجزائرية العتيدة (2) زناتة .

وفيهم نفر قليل من الهلاليين الذين قدموا الى المغرب العربي من صعيد مصر في عهد الدولة الفاطمية .

بسم الله الرحمن الرحيم
عليه توكلت وبه أستعين

المقدمة

قبل ان أتحدث عن المدينة أود أن أعطي لمحة تاريخيه لالقاء بعض الأضواء عن الأوضاع التاريخية التي سادت المنطقة منذ دحول الاحتلال الروماني الى الشمال الافريقي وذلك حتى يتبين للقاريء ما تزخر به هذه الناحية من آثارات تاريخية قديمة قدم التاريخ والتي سبقت ظهور المدينة بكثير .

ان الباحث في تاريخ المدن الجزائرية ليجد صعوبة كثيرة في العثور على المصادر والوثائق التاريخية التي تلقي الأضواء على الدور الذي قامت به في الأزمنة الغابرة ، وحتى ان وجدت هذه الوثائق (وما أقلها) فغالبا ما تكون بلغات أجنبية .

وعليه فالمراجع التي اعتمدت عليها كانت قليلة . الأمر الذي جعلني أعتمد على الاستفسارات في كثير من الأحيان من طرف بعض من لهم معلومات وأساطير تاريخية لهذه المدينة عبر العصور .

وقد تلاحظون ذلك أثناء هذا العرض المتواضع .

من الصعب جدا أن يصل الباحث في تاريخ المدن الى الحقيقة كاملة دون الرجوع الى علم الآثار خاصة ما يتعلق بالتاريخ القديم ، ومدننا لا تخرج عن هذه القاعدة بحيث يطالعنا الجغرافيون والرحالة العرب بمعلومات قيمة عن مراكزنا الحضارية (المدن) ومن بينها مدينة حمو موسى الزياني التي نحن بصدد دراستها ، لكن السؤال الذي يطرح علينا هو : هل كان لهذه المدينة وجود قبل العرب ؟ للاجابة عن هذا السؤال لا بد من الرجوع الى علم الآثار كما أسلفت لأنه العلم الوحيد الذي يستطيع أن يجيبنا

لذا أقول : في امكان أي زائر يزور هذه المدينة ، وخصوصا اذا جال في ضواحيها الواقعة الى الشرق منها والتي لا تبعد عنها بكثير ، فانه ولا شك يشاهد بعينيه الآثار الرومانية المتواجدة في عدة أماكن بحيث لا تبعد عن بعضها البعض الا ببضعة كلوميترات ، حيث يشاهد المتجول ما يشاهده في شرشال وتبازا وتيمقاد وجميلة . الى جانب بعض الأواني الخزفية والفخارية التى وجدت في كثير من المغور والكهوف الطبيعية ، وهذا ما يجعلنا نستنتج أن ضواحي حي مدنية حمو موسى تعتبر أماكن أثرية (قديمة) حيث تجمع سكانها قديما بمكان يدعى سـسيع وهواسم روماني ثم بواد نهل بالقرب من قصر حمو موسى بأرض تدعى اليوم بأرض القايد الجزار ، وفي العهد الزياني استتبت بها الأوضاع في مكانها الحالي الذي ليس ببعيد عن قصر أبي حمو الامر الذي جعل بعض الناس يخلطون بين حمو موسى ، وعمي موسى والأعمى موسى ، الا أن هذا الالتباس لا يلبث أن يزول عندما يخبرنا التاريخ بأن مدينة حمو موسى هي مدينة بناها الزيانيون بقيادة حمو موسى الأول رابع سلاطين دولة بني عبد الواد الذي قدم اليها في حدود 711هـ . كما أشار الى ذلك العلامة الشيخ عبد الرحمن بن خلدون في كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر .

وذلك قصد اخضاع القبائل المنشقة لتوسيع رقعة دولته وجمع شمل

الجزائريين والوقوف في وجه كل من الخطر الحفصي شرقا والمريني غربا الذي كان يحدق بها .

وأملي أن أكون قد ألقيت نظرة تاريخية قريبة من الحقيقة تمكن الفئة المثقفة التي تريد الاطلاع والتعرف على تاريخ هذه المدينة وضواحيها .

نبذة تاريخية عن الآثار والتوسع الروماني بالمنطقة

قبل ان نتعرض للمعرين بهذه المدينة وظهورها الى الوجود لا بأس وأن نشير الى الوضعية التي سادت هذه الناحية أثناء الوجود الروماني بها وتوسعه فيها حتى يكون الكثير على بينة واطلاع على ما تكتسيه هذه المنطقة من آثارات عريقة وبناءات عتيقة .

من المعلوم أنه في عهد يوغرطة كانت المملكة النوميدية تمتد من جنوب الأوراس الى شرق المحيط الأطلنطي .

وبعد انتهاء الحروب البونية الثالثة سنة 146 ق ، م استولى الرومان على سواحل شمال افريقيا . وأطلقوا عليها اسم مملكة الرومان بأفريقيا

وجعلوا لها واليا مقره بعوتيقة . وكانت حدودها من وادي توسكا (ضبرقة) حتى جنوب مدينة صفاقس . ولم يحاول الرومان توسيع مملكتهم في الأول لقدرة البرابرة على الدفاع عن أنفسهم غير أنه في عام 64 ق ، م استولى الرومان على الجزائر فأصبحت ما يسمى بنوميديا الشرقية الى سبيوس ، بينما بقيت نوميديا الغربية بيد البرابرة تحت قائدهم عرابيون (1) أما باقي الأراضي فقد بقيت تحت سيطرة أمراء البرابرة آخرين .

ونستنتج مما سبق أن منطقة قبائل بني وراغ المعروفة اليوم بعمو موسى كانت من اشد المناطق مقاومة ووقوفا في وجه التغلغل الروماني في مرتفعات الونشريس الغربية أثناء قيامه لاحتلال الجنوب الجزائري ، الأمر الذي حتم على الرومان ان يقيموا مراكز عسكرية بهذا الاقليم لتكون نقطة انطلاق نحو الجنوب .

وهذا طبعا بعد سنة 42 ق ، م عندما أصبحت الجزائر تابعة للحكم الروماني مباشرة وأسس الرومان عدة مدن مثل هبيون وشولو وسرتة ، وتبازا ، وصلداي ، والجميلة ، وتنس ، والأصنام ،(كاستيلا توم تجيكاتوم) كمركز حربي وتجاري وديني في المنطقة ، ومعنى هذا الاسم مركز القوة ، وبالفعل فقد كانت مركزا للقوة حقيقية ، وقد أسس المركز على أنقاض المركز الفينقي ، وكما أسلفنا الذكر فزيادة على مركز حربي متقدم لحماية

---

(1) كتب ذلك الكاتب الروماني سالوست عن يوغرطة

المدن الساحلية من غزوات الشعوب والقبائل الداخلية البربرية فانه مركز للتبشير الديني بالمنطقة .(1) .

وبحكم هذا يتضح لنا أن الرومان كانوا ينطلقون من الأصنام نحو الجنوب الغربي منها والقيام بحملات عسكرية للحصول على مناطق جديدة ونشر ما يسمى بسياسة الرومنة La romanisation في أذهان السكان الأصليين حتى يتسنى لهم استغلال قلوب بعض الأهالي واخضاعهم ، لهم مثل ما قامت به الحركة التبشيرية الفرنسية المعروفة بالأباء البيض أو ما تسمى بالفرنكفونية أو الفرنسية ، والتي شيدت لها عدة مدارس لتصهر على تطبيقها ونشرها ، وبثها في عقول المواطنين .

وبطبيعة الحال ، أثناء القيام بنشر سياسة الرومنة والتوسع انطلاقا من مدينة الأصنام نحو الجنوب الغربي منها اصطدمت القوات الرومانية بمقاومة عنيفة من طرف سكان منطقة حمو موسى التي عرفت بهذا الاسم فيما بعد الشيء الذي جعل القوات المحتلة تنشيء مراكز عسكرية بهذا الاقليم في عدة جهات نذكر منها على سبيل المثال : برج سنسيغ حيث أصبح المكان يعرف بهذا الاسم الى يومنا هذا أو الذي يقع في السفوح الجنوبية من جبال قارون ثم يقابله في السفوح الشمالية لمرتفعات الونشريس برج اولاد العربي بدوار اولاد حد ، وبرج الطلة بوزغرة حيث لا يبعد البرج عن الاخر الا بحوالي ثلاث كلوميترات ،

(1) أثبت ذلك أمبارك الهلالي الميلي : تاريخ الجزائر القديم والحديث عن المدن

وحد هذا يقال أنه كان يمثل أحد عيون الرومان التي تدلهم على مواقع المقاومة ، فشيد الرومان لجد مسكنه برجا للمراقبة . وحددوا له قطعة ارض واسعة من جهة الجبال الوعرة على حساب الأخرين مكافأة له ، كما تروى بعض الأساطير المحلية القريبة من الحقيقة .

حيث يقال عنه أنه أي حد هذا يشير بعصاه لجنود الرومان ويقول لهم هذا حدى من هنا الى هناك ، فأقنعه الرومان بذلك لأنه مكان جبلي لا «يصلح للزراعة لأن المناطق الزراعية خصصت لضباطهم وهذا كله ليدلهم على خبايا المنطقة التي كانت تكسوها غابات كثيفة سببت صعوبات كثيرة للتغلغل الروماني فيها ولا يتم ذلك الا بواسطة بمن له خبرة ودراية كاملة بشعابها .

الشيء الذي جعل القوات الرومانية تتقدم في عمق هذه المرتفعات ومواصلة احتلالها نحو الجنوب وشيدت أبراجا للمراقبة بمكان يبعد عن الأخر بحوالي أربعة كلوميترات يعرف بتغازا Tigaza وهو اسم يشبه الى حد كبير اسم تبازا الواقعة قرب جبال شنوة على ساحل البحر شرق مدينة شرشال .

ثم تقدمت القوات المحتلة الى الجنوب الغربي من هذا المكان تغازا بمسافة قدرها سبعة عشر كلم تقريبا حيث أسس الرومان برجا للمراقبة بقمة جبلية تدعى (القرن) لأنها تشبه قرن الحيوان ، وبالبعد عنه بنوا برجا آخر بوادي بني حاتم حيث بنى قائد البرج الضابط الروماني مزرعة كبيرة بالقرب من البرج

المذكور وخصصها لتربية الحيوانات التي تعتمد في معيشتها على الحشائش المزدانة بالغابات الكثيفة وتشرب من جداويل المياه العذبة وكان الضابط الروماني يدعى (كورة) وعندما يمر السكان الأصليون بذلك المكان فيندهشون من كثرة الحيوانات وسمنها فيتساءلون عنها كقولهم : لمن هذا المال ؟ يقول لهم من يعرفه : مال كورة وهكذا مع مرور الزمن بقي المكان يعرف بـ مال كورة ثم حرفته العامة الى منكورة وهي مرتفعات جبلية تنتمي الى سلسلة جبال الونشريس غربا .

ولا بأس أن أعطي بعض الوصف البسيط لهذه الأبراج .

ان الزائر لهذه الأبراج فانه عندما يدخلها ويجول ببصره فانه ولا شك يلاحظ ويشاهد بنايات ذات أشكال هندسية منها ما هو على شكل دائري والاخر ذو شكل منتظم تتخلله بيوت مربعة تحتهم سراديب ودهاليز محصنة ، لكن معظمها مملوء بالرواسب نتيجة قدمها قدم التاريخ الذي يزيد على ألف سنة (20) قرنا ، وللبرج ابواب مبنية على هيئة قوس منقوش على صخورها المكعبة الشكل خطوط مختلفة تبين بوضوح معالم الحضارة الرومانية ، ومدى قدرتهم في الخلق والابداع الذي خلد فنونهم وطابعهم الحضاري الى يومنا هذا حيث بقي ومايزال يقاوم عوامل الطبيعة الهدامة القاسية المتمثلة في ظاهرة النحت والارساب الى جانب ما تخربه يد الانسان المهملة التي تعبث بهذه الأثارات التاريخية العريقة العتيقة التي تعود الى عهود ضاربة في الأزمنة الغابرة والتي لا يمكن اعطاء تفاصيل لنا عن أهلها الا

بواسطتها حيث تعد المرجع الأساسي للاطلاع ومعرفة بعض الشيء عن حضارة أهلها وصانعيها ، وان الذي يقف على هذه الأطلال ويعود بأفكاره الى الماضي السحيق ، ويتأمل جيدا في عظمة هذه التحصينات لا شك وأنه يدرك الأسباب والدوافع الحقيقية التي جعلت القوات الرومانية أن تقيم هذه التحصينات كلها ، فانها ان دلت على شيء فانما تدل على مدى ما كانت تتمتع به فلول البربر من مقاومة عنيفة وتصديهم للغزاة الأجانب الذين كان مجتمعهم يعتمد بالدرجة الأولى في الميدان الاقتصادي على الزراعة الأمر الذي دفع الرومان وجعلهم يعمدون الى سلب وابتزاز الأراضي الزراعية أو استصلاحها قسرا على كاهل السكان الأصليين الذي ألقى عليهم القبض واعتبروا كأسرى حرب بهذه المنطقة وهذا طبعا بحكم المنطق والتاريخ لأن التاريخ يعيد نفسه .

وكل ما ذكرناه من أثارات بالناحية سابقا أقول مع الأسف لم يحض بعناية ولو بقدوم بعثة علم الآثار لعين المكان في اطار جولة سياحية خفيفة لتأخذ عنه صورة متلفزة للشهرة والتعريف به عله يطلع عليه بعض من يفضلون السياحة حتى يكونوا على علم بوجوده لأن المنطقة علاوة على هذا نجدها في حد ذاتها منطقة جبلية ذات مناظر طبيعية خلابة تكسوها حلة من الغابات الصنوبرية الجميلة ومختلف الأدغال والأحراش المتيعة مما جعلها صالحة للصيد حيث تعيش بها عدة أنواع من الطيور أهمها الحجل ، وحيوانات برية كالأرانب والذئاب والثعالب والسناجب والهياشم ذات الأشواك الطويلة الرقطاء المعروف في

بلادنا بـ (الضربان) وعلى ضوء هذا يتبين لنا بوضوح على أن المنطقة أي منطقة بني وراغ غنية جدا بالأثارات التاريخية الرومانية ، وبالاضافة الى هذا قد عثرنا على الكثير من الأواني الخزفية والفخارية في المغاور والكهوف الطبيعية بجبال هذا الاقليم .

ومن هذه المراكز أو الأبراج العديدة يتضح لنا .

التوسع الروماني نحو الجنوب .

لقد كانت هذه المنطقة الجبلية خارج الحدود الرومانية وهي مناطق تمثل امتدادا وطنيا واسعا لا ينصب معينه بالنسبة للمقاومة لأنها كانت تشكل خلفية ترابية وبشرية تنطلق منها الثورات وتعود اليها لأخذ المدد وتعميق الوعي بأهداف التواجد الروماني في الشمال ، ولنا في ثورة الونشريس الشهيرة أمثلة واضحة على هذا التداعي الوطني الهام ، حيث كانت المناطق الشمالية من البلاد بمثابة جبهات قتال متحركة يواجه فيها الثوار جحافل الجيش الروماني في معارك طاحنة أو يغيرون على تجمعاته في هجومات خاطفة وسريعة في نفس الوقت . لاختراق هذه المنطقة الجبلية المتاخمة للحدود الرومانية بخلفيتها الجنوبية اعتبرت في نظر الرومان منطقة عسكرية ستبقى مصدر قلق دائم وخطر مستمر بما ينطلق منها من تحركات ثورية تعوق حركاتهم الاستعمارية في الأراضي الزراعية بالشمال ، وتحد من توسعهم نحو الجنوب ، اذا لم يشرعوا في تنفيذ خطة الاحتلال الواسع

نطاق الذي يمكنهم من السيطرة على كامل المنطقة الأمر الذي أدى الى الشروع من طرف الرومان في تنفيذ الاستراتيجية الوقائية في المناطق الجبلية هذه التي كانت مسرحا لتحركات الثوار ، وذلك بانشاء شبكة من التحصينات تطوق هذه المنطقة الخطيرة ، واختراقها بطرق تمكن الفرق العسكرية من التنقل سريعا عبر هذه المنطقة لمواجهة أي تحرك ثوري (1) .

غير أن المقاومة كانت تتصدى لتلك الطرق فتهدمها الأمر الذي حتم على الرومان أن يقوموا بانشاء شبكة من أبراج المراقبة والحصون على طول الطرق وبمسافات متفاوتة (3 — 2 — 4 — 16 كلم) تمكن من حراسة الطريق وتؤمن تنقل الدوريات بصفة منتظمة بين تلك النقاط المذكورة ، في الناحية ، ثم عمد جنود الاحتلال الروماني للقيام بتحطيم البنية الاجتماعية والاقتصادية للسكان لأن شبكة الاختراق لم تحقق الأمن الذي كان ينشده الرومان في هذه المنطقة ، لذلك شرعوا في تنفيذ خطة أخرى أكثر جرأة من الأولى تمثلت في العمل على عزل السكان عن بعضهم وحشدهم في هذا المكان الذي يسمى سنسينغ وتغازا Tigaza .

وذلك للحصول على أراضي زراعية جديدة تكون مجالا للاستطان الجديد .

ان خطورة هذه الخطة لا تتمثل في تفكيك البنية

---

(1) الكاتب الروماني سالوست

الاجتماعية للسكان فحسب ، بل في كونها أبعدتهم عن أرضهم التي توارثوها جماعيا منذ القدم .

ومن هنا يتضح لنا أن حركة الاستطان الروماني قد انطلقت نحو الجنوب وبالذات الى تيهرت من هذه الناحية وذلك لقربها منها .

وأطلقوا عليها مطمورة افريقيا .

والا كيف نفسر وجود هذه الأبراج العديدة بهذه الجهة من الوطن ؟ واذا قارنا مواقع الرومان بهذه المنطقة ، وبما قام به الاستعمار الفرنسي أثناء ثورة أول نوفمبر 1954 م نجده قد شيد قواعد عسكرية وانشأ محتشدات بالقرب منها ونقط مراقبة اضافية متقدمة لمراقبة ومعاينة تحركات كتائب جيش التحرير الوطني وسلاسل مواصلاته نجد الجيش الفرنسي قد بناها كلها بالقرب من الأبراج الرومانية ، والمتمثلة في معسكر بوخبزة وبنت شعيب والذروة . كلها على خط واحد بحيث لا يبعد الواحد عن الاخر باكثر من ثلاث كلوميترات ، وفي الخط المقابل ، نجد مركز أولا موجار ، ومعسكر المرجة بسنسينغ ومركز العثامنية بدوار اولاد حدو والقاعدة الكبيرة للقيادة العامة برئاسة عقيد في تغازا Tigaza وقد وقعت بالفعل اشتباكات ومشادات عنيفة في هذه المنطقة بين الجيش الفرنسي وجيش التحرير الوطني .

ويحكم هذا الوضع ومجريات الأحداث التاريخية التي هي عبارة على حلقات وسلاسل ممتدة من الماضي السحيق الى يومنا

هذا يتبين لنا أن المنطقة كانت وبقيت باستمرار تتصدى لعنف لتواجد الاحتلال الروماني قديما طيلة ما يزيد عن خمسة قرون التي عاشها بمنطقة المغرب العربي .

والتاريخ يعيد نفسه ، ولم لا ؟ .

ملاحظة : ان البراهين الساطعة والأدلة القاطعة التي أتيت بها عن صالوست الكاتب الروماني في وصفه للاحتلال الروماني بالشمال الافريقي ، وشارل أندري جوليان في كتابه تاريخ الشمال الافريقي الذي تكلم فيه عن المجتمع الروماني جنوب البحر الأبيض المتوسط . والمؤرخ الجزائري امبارك الميلي في كتابه : تاريخ الجزائر القديم والحديث .

ليس معناه أنهم اقتصروا على منطقة معينة من الوطن وانما تكلموا عليه بصفة عامة .

أما أنا كتبت هذه المذكرات مقتصرا فيها على منطقة بني وراغ في البداية قصد اعطاء لمحة تاريخية قصيرة على ما تزخر به هذه الناحية التي كادت أن تكون في طي النسيان ولو أشار اليها بعض الكتاب باختصار كالسيد رابح بونار ، وان كانت في الواقع ليست مطابقة للحقيقة ، لماذا ؟

لأنهم نسبوها أي هذه الاثارات الى الزيانيين مع أنها تتسم بطابع روماني محض تنعدم نهائيا في تلمسان المقر الرئيسي لبني عبد الوادي الذين تسمح لهم الظروف باقامة أبراج المراقبة كهذه نتيجة الصراع المستمر بينهم والحفصيين شرقا والمرينيين غربا

الذين تمكنوا من البقاء في تلمسان 124 سنة بعد الحفصيين الذين احتلوها في أيام يغمراسن نفسه .

اسباب قدوم حمو موسى

الى هذه الناحية

من المعلوم انه بعد سقوط الدولة الموحدية نتيجة انهزامها في معركة حصن العقاب بالأندلس سنة 1212 م ظهرت ثلاث دول في المغرب العربي ، أولها الدولة الحفصية في تونس عام 1229 م ثم الدولة العبد الوادية الزيانية بتلمسان سنة 1235 م والدولة المرينية بفاس سنة 1269 م ، حيث كانت كل دولة من هذه الدول تسعى للأخذ بزمام الحكم في كامل منطقة المغرب العربي ، وترى نفسها بأنها أحق بخلافة الموحدين .

لذا وجدت الدولة الزيانية نفسها بين فكي الأسد كما يقال حيث الخطر يداهمها شرقا من طرف الحفصيين وتارة غربا من لدن المرينيين بالاضافة الى خروج القبائل البربرية في المغرب الأوسط وتمردهم ضد الزيانيين ، فمنهم من أعلن ولاءه للحفصيين واستصراخهم ضد يغمراسن مثل ما فعل بنو توجين

الذين كانت لهم قلعة تاقدامت (بني سلامة) وقلعة منداس ، وقلعة أخرى بالونشريس .

أما الثعالبة بسهول متيجة ومغراوة بسهول الشلف كانوا يستصرخون ببني مرين في فاس ضد الزيانيين في تلمسان . وأحيانا أخرى يستصرخون بالحفصيين في تونس .

وهذا ما جعل السلطان العبد الوادي أبو حمو موسى الأول يقوم باكتساح ساحق لاخضاع هذه القبائل وجمع شمل الجزائريين ليكون ويبني دولة قوية تكون قادرة على الوقوف في وجه مناوئيها حيث قدم على رأس جيش عرمرم متوجها به نحو الشرق ، وقد نزل به في مكان يدعى وادي نهل وبنى قصره المعروف بـ حمو موسى قرب مازونة الذي حرفته العامة الى عمي موسى .

وهو مكان بين قبائل بني توجين جنوبا ، وقبائل مغراوة شمالا والثعالبة شرقا ، وذلك في مطلع القرن الثامن الهجري وعلى وجه التحديد سنة 711 هجري .

ثم شن هجوما كاسحا على مغراوة بسهول الشلف حيث التقى الجيشان وأسفرت المعركة على قتل الآلاف ثم قدم الى مازونة وقتل عبد الرحمان بن منديل أمير مغراوة آنذاك .

وهكذا بقيت منطقة حمو موسى تقدم العون الى الزيانيين بشريا واقتصاديا طيلة الوجود الزياني الى أن حل العثمانيون بالمغرب العربي في مطلع القرن السادس عشر(16) .

وما دام هذا الوصف التاريخي ينسب الى العلامة عبد الرحمان بن خلدون يعتبر هو أصدق من غيره من المؤرخين الذين تكلموا عن هذه المنطقة في تلك الفترة ، لماذا ؟ لأنه هو الذي عاش بالمنطقة التي قدم اليها في حدود سنة 1363 م وبها كتب مقدمته المشهورة في قلعة بني سلامة (تاقدامت) والتي لا تبعد عن مدينة حمو موسى الا بحوالي 80 أو 85 كلوميترا منها الى الجنوب الغربي ، وهي احدى قلاع بني توجين .

ولذا استلزم اعطاء نبذة تاريخية قصيرة عن حياة وأعمال هذا القائد المغوار أبو حمو موسى الأول حتى يمكن للقارئ ان يطلع ويتعرف على شخصية هذا الرجل وسبب مجيئه الى منطقة بني وراغ .

ولاية السلطان أبي حمو موسى الأول :

هو السلطان أبو حمو بن السلطان أبي سعيد عثمان بن السلطان يغمراسن بن زيان .

ولد 665 هـ — 1266 م وبويع بتلمسان يوم وفاة أخيه السلطان أبي زيان الأول :

الأحد 21 شوال 706 هـ — 26 أبريل 1307 م وكان شجاعا شديدا في غير قساوة : لينا في غير ضعف ، حازما

كتاب تاريخ الجزائر للأستاذ التوفيق المدني عن عبد الرحمان بن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر .

صارما ، وهو أول من أحدث في هذه الدولة مراسيم الملك ومصطلحات تنظيمات القصر وتشريفاته Protocol .

غارات أبي حمو وفتوحاته :

كان أول ما افتتح به أبو حمو أعماله الادارية أن سعى في مسالمة بنى مرين ومهادنتهم ، ثم لما اطمأن على ملكه من الناحية الغربية اشتغل بتطهير الحواشي والجوانب المحيطة به فأخذ في تذليل القبائل المنشقة عنه كمغراوة وتوجين ، فانتصر عليهم ولكنه لم يظفر بالأمير المغراوي راشد بن محمد لفراره ، ثم التفت نحو الشرق ، فبعث بجنوده ــ أولا الى الزاب الجزائري فاستولى عليه سنة 710 هـ ، 1310 م و أذ عنت لطاعته بلاد الجزائر الشرقية .

فتقلص عنها ضل بني أبي حفص ثم بعد سنتين خرج السلطان أبو حمو بنفسه متوجها نحو مدينة الجزائر فاحتل بلدة تدلس ــ دلس ــ وخضع أميرها ابن خلون ، ثم تمكن من مدينة الجزائر وأقصى عنها حاكمها ابن علان بعد ما استبد بها مدة أربع عشر سنة ودوخ جبل أبي ثابت وأشاد قصر «أصفون» في مدة لا تتجاوز أربعين يوما ، وهو نفس مكان المدينة المعروفة اليوم بالساحل الشرقي الجزائري باسم أزفون ــ وأقام به الحامية ثم تركه منصرفا الى غزواته . .

القضاء على امارة الثعالبة بمتيجة :

يذكر المؤرخون أنه كان بسهول متيجة نحو الثلاثين

مدينة وكلها كانت للثعالبة الذين هم من عرب المعقل ، وكان موقف هؤلاء السياسي دائما في جانب المرينيين ضد بني عبد الواد ، ولا سيما أيام الحصار الشديد الذي ضربه السلطان أبو يوسف يعقوب على تلمسان ، وقد لاحظ منهم ذلك بنو عبد الواد فاكتموهم العداوة مصانعة الى ان حانت لهم الفرصة في هذه المرة وطعن سلطان مرين وارتفع الحصار واسترد الزيانيون مملكتهم الجزائرية فجهز يومئذ السلطان أبو حمو الأول عساكره بقيادة ابن عمه محمد بن يوسف بن يغمراسن ووجههم الى متيجة وانقضوا على الثعالبة فخربوا قصورهم وحطموا ديارهم وقضوا على اكثريتهم ، ولم ينجو منهم يومئذ في هذه الوقعة سوى نفر قليل التجأ الى احلافه بني مرين بالمغرب الأقصى ، ومنهم من ذهب الى الصحراء ومنهم من اقام بجبال الونشريس ، ثم حاصر الجيش العبد الوادي مدينة بجاية وضيق على صاحبها يومئذ أبي زكرياء الأوسط حليف مرين .

اغارة بني مرين ثورة الأعراب :

اشتعل المغرب الأوسط في هذه الآونة نارا سبب مهاجمة مرين على مراكز أعدائهم وخصومهم الملتجئين الى تلمسان ، المحتمين بملوكها ، فنزل السلطان أبو سعيد المريني مدنية وجدة واكتسح بسائط تلمسان ، فالتجأ بنو زيان يومئذ في صرفه عنهم الى استعمال الحيلة والدهاء ، ثم كان اندلاع الثورة من البربر والاعراب فعمت الفتنة جميع أعمال وهران ، فانبرى لاطفائها يومئذ السلطان أبو حمو الأول ونزل بوادي «نهل» من شلف

وهناك ابتنى قصره المعروف الى اليوم باسمه «حمو موسى» ، قبل أن تحرفه العامة الى ــ عمي موسى وهو بالجنوب الشرقي من موقع «عين كرمان» ، ويومئذ فر أمامه رأس الثوار راشد بن محمد المغراوي ، فذهب الى بلاد القبائل ، فأمر أبو حمو بغزوها أيضا ، فاحتلتها جيوشه ودخلت بجاية فجاست هنالك خلال الديار ، وأشيدت هنالك يومئذ مدينة «أقبو» الباقية الى اليوم وأذعنت جميع تلك النواحي لبني زيان ثم وقعت بقبضتهم مدينة المدية ومليانة سنة 717 هـ (1317م)

وفي هذا العهد أخذ الضعف يسري في عروق القبيلة الجزائرية العتيدة :

وحلت محلها الجاليات العربية المهاجرة

مصرع السلطان أبي حمو موسى الأول :

لقد عملت عوامل الغيرة والأنفة أعمالها في الأمير أبي تاشفين بسبب ما كان عليه والده أبو حمو موسى من تقديم ابن اخيه أبي السرحان عليه ووحدنية مجلسه منه ، بل وكثيرا ما كان يظهر ذلك أمام ولده أبي تاشفين فيستشير أبا السرحان ويحادثه في شؤون الدولة وأعمالها وأبو تاشفين جالس بدون أن يلتفت اليه ، فاستنكف أبو تاشفين لهذه الاهانة واغتاظ لذلك فسخط على والده ودبر له مكيدة ذهب السلطان ضحيتها فاغتاله بعض العلوج بقصره يوم الأربعاء 22 جمادي الأول سنة 718 هـ (12 جوان 1318 م) وتملك بعده ولده أبو تاشفين .

موقع مدينة حمو موسى وأهميتها :

تقع في متخفض يعد نهاية مرتفعات الونشريس غربا على الضفة الغربية للوادي الذي ينبع من هضاب تيهرت ويصب في الشلف والمعروف بواد أرهيو ، ويحدها من الشرق والشمال الشرقي بلدية الرمكة وبوقادر ومن الجنوب والجنوب الشرقي بلدية عين طارق والملعب ، ومن الغرب والشمال الغربي بلدية اولاد يعيش والأحلاف .

وبموقعها هذا تعد بمثابة بوابة الهضاب العليا .

لذا فهي تحتل موقعا استراتيجيا ان صح التعبير بحيث تتفرع عنها عدة طرق تكون شبكة من المواصلات تربطها بكل من ولاية تيهرت والشلف وغيليزان بالاضافة الى طرق أخرى تصلها بالبلديات المجاورة وتشتهر بموقعها هذا على واد ارهيو الذي يدعمه رافدي سنسيغ وحمام منتيلة الذان يكونان معا ما يسمى بواد الثلاثاء الذي يصب في النهر قرب مدينة حمو موسى التي لها مزارع وبساتين محدودة نظرا لقلة السهول المهددة بالانجراف بها حيث يغلب عليها الطابع الجبلي خصوصا من الناحية الشرقية والشمالية الشرقية منها ، ولها أسواق عامرة ، ومساكن متوسطة ، ولسوقها يوم معلوم يجتمع اليه أصناف من سكان الناحية والبلديات المجاورة بضروب من الفواكه المعروفة ومختلف الحبوب والحيوانات والقماش ، وبها مسجدان أحدهما حديث العهد ، والثاني يعود بناءه الى حوالي عام 1876 م أي في العهد الفرنسي وقد كان عدد سكانها آنذاك حوالي 1600 نسمة .

حمو موسى في العهد التركي :

لم يكن هذا العهد واضحا بحيث لم تطالعنا أي معلومات ، ولن نعثر على أي وثائق تاريخية تدلنا على مجريات الأحداث التاريخية لهذه المدينة لذا بقيت مجهولة كغيرها من المدن الجزائرية بالرغم من قربها لعاصمة الغرب (بايلك الغرب) مازونة والتي لا تبعد عنها الا بحوالي 45 كلومترا شمالا ، وربما يرجع هذا بالدرجة الأولى الى اتلاف الوثائق التاريخية للمدن الجزائرية عند احتلالها من طرف الاستعمار الفرنسي .

وان صح التعبير لم يكن في ذلك الوقت من يهمهم الأمر لمسايرة الأحداث وتدوينها ، لأن العثمانيين أنفسهم كانوا يعتمدون في نظامهم على ركيزتين ، الجيش والادارة ، لذا فالجيش كان منشغلا بالحروب عبر البحر الأبيض المتوسط ، والادارة كان همها الوحيد جمع الأموال المتمثلة في الضرائب ، وخصوصا الولاة الذين كانوا يعمدون لتحقيق أغراضهم الشخصية ، في الطور الأخير من الحكم التركي في الجزائر .

حمو موسى في عهد الأمير عبد القادر :

وفي عهد الأمير عبد القادر كانت منطقة حمو موسى من أكبر المناطق السياسية والعسكرية ، وقد عين عليها الأمير خليفته مصطفى بن التامي على رأس مسؤولين آخرين سنتعرف عليهم فيما بعد ، وهذا خصوصا بعد تقلص الثورة نحو الهضاب العليا في مطلع الأربعينات من القرن التاسع عشر .

وذلك بعد يوم 23 أبريل من عام 1843 م حيث تقدم المارشال بيجو الحاكم العام للجزائر العاصمة على رأس 350 فارسا و 06 فرق من المشاة والتي تدربت على حرب الجبال منطلقا من مليانة باتجاه سهول الشلف وعندما وصل الأصنام بعد مسيرة 3 أيام حيث التقى بالجنرال جانتي (1) القادم من مستغانم حيث قرر الفرنسيون بناء مركز عسكري ليكون نقطة انطلاق نحو المناطق الجبلية للناحية وملاحقة جيش الأمير عبد القادر الذي اقتصر نشاطه في ناحية بني وراغ المتاخمة للهضاب العليا من الناحية الشمالية .

وان المارشال بيجو عند ما بلغ الجهة اليمنى لنهر الشلف تلقى رسالة من المازونيين يعلنون له فيها خضوعهم وطاعتهم ، ولقد وقع هذا من تلقاء انفسهم حيث ذهب كبار القبيلة وهم يحملون سعف النخيل الخضراء كدليل على حبهم للسلام والتقوا بالمارشال بوجو أو بيجو في مكان يسمى القطايطية (موقع واريزان حاليا) وأعلنوا له خضوع المدينة ، وبذلك ضمت مازونة للحكم الفرنسي ، وكان عدد سكانها آنذاك يقدر بحوالي 2230 نسمة ، وبعد هذا الحادث بمدة قصيرة طلب الأمير عبد القادر من المازونيين أن ينضموا اليه لكنهم رفضوا طلبه ، فحاول الأمير أن يستولي على المدينة لكن هجومه عليها باء بالفشل الا أنه نجح في احراق أعظم مخزن في بوعلوفة سنة 1843 م ، وانسحبت

---

(1) محاضرة الأستاذ سعيدي خالدي عن بيجو .

قوات الجنرال جونتيل من مدينة مازونة ، هذه القوات التي كانت تقوم بعمليات توسعية بعين المكان . انتهى قول الوكيل يوسف (2) .

وهذه من احدى الأسباب والدوافع الكبرى التي جعلت جيش الأمير عبد القادر ينسحب نحو الهضاب بمنطقة بني وراغ الأمر الذي جعل الجيش الفرنسي يبني أكبر ثكنة عسكرية بمدينة حمو موسى كما هو الحال في كل من ثنية الأحد وبوغار ، وذلك لتكون هذه القاعدة منطلقا للجيش الفرنسي عبر الجبال للقضاء على جيوب المقاومة وذلك عام 1843 م كما أشير الى تاريخ بنائها في كتاب صاري الجيلالي .

حمو موسى معقلا للثوار :

ان الموقع الجبلي لمدينة حمو موسى وما لها من أحراش وغابات كثيفة وادغال منيعة خصوصا في الجهة الشرقية والجنوبية منها جعلها بحق معقلا للثوار والمجاهدين الأحرار ، وقدروى لنا الكثير من أبنائها عن ثورة الأمير عبد القادر ، والشيخ بوعمامة الى ثورة أول نوفمبر 1954 م .

وقبل ان تتعرض لاعطاء لمحة تاريخية متواضعة عن وجود وانتشار ثورة الأمير عبد القادر بهذه المنطقة لا بد وأن نشير الى

(2) مذكرات للوكيل يوسف امزوني باللغة غريبة عن مازونة وفي محاضرة حول تاريخ مازونه ألقاها الأستاذ أوامري عبد الحميد بمناسبة انعقاد ملتقى لأساتذة التاريخ والجغرافيا بثانوية غليزان .

الأسباب والدوافع الرئيسية التي جعلت هذه الناحية احدى جيوب المقاومة الشعبية .

نتيجة لماحدث للأمير مع المازونيين كما أسلفنا الذكر وانتشار القوات الفرنسية بسهول الشلف وملاحقتها للمقاومين عبر وادي ارهيو في اتجاه مدينة حمو موسى نحو الهضاب العليا .

في هذه الحالة وجدت بعض ما تحتفظ لنا به الأخبار المحلية والتي استقيتها من مشاييخ الناحية المذكورة قائلين هكذا :

ان آباءنا كانوا زمن الصيف يحصدون بسهل يدعى العرجة الحمراء الواقعة شرق مدينة حمو موسى ببضعة كلومترات حتى ظهرت لهم جماعة من جنود الأمير عبد القادر قادمين من الشلف عبر وادي ارهيو ثم وادي نهل والمعروف اليوم بوادي سسيغ ، وعندما قربت منهم تلك الكوكبة شرعت في تخبيء وخزن السلاح تحت الحصيد تحسبا لما سيحدث ، وفي حالة ما اذا سقطوا أسرى في يد العدو فانه لا يحصل على غنيمتين الأسلحة والرجال ، وهذا فعلا ما وقع اثناء الثورة المسلحة ثورة أول نوفمبر 1954 م حيث كان يتبنى جنود جيش التحرير الوطني هذه الخطة ، اما أن يقتل الجندي نفسه بنفسه أو يكسر أسلحته اذا يئس من الفرار والنجاة بنفسه ، وهذا بطبيعة الحال بعد ما تبقى له آخر حبة من رصاصه فيصوب أسلحته نحو رأسه .

وهذا ما يؤكد لنا أن جنود الأمير الذين كانت تلاحقهم

قوات المارشال بيجو ، لم يكن من السهل القاء القبض عليهم حيث اعتصموا بهذه الغابات واستمرت المقاومة الى عام 1847 م .

وبحكم اعتصام جنود الأمير بهذه الجبال ، يتضح لنا أن سكان هذه المنطقة كانوا مساندين للمقاومة الشعبية آنذاك .

وبالاضافة الى وجود قاعدة عسكرية حصينة قديمة أقامها جيش العدو بالمدينة عام 1843 م لتكون نقطة انطلاق لتنفيذ سياسة الأرض المحروقة التي خططها وطبقها المارشال بيجو لقهر قبائل بني وراغ ، وتخليهم عن فكرة العصيان والتمرد ، ونصرتهم لمن يقف ضد الاستعمار .

وهنا قال أحد الضباط الفرنسيين الكبار متشدقا بقوله :

ان تنفيذ سياسة الأرض المحرقة بهذه المنطقة ، أهدف فيها بالدرجة الأولى لأجعل أغنى واحد في بني وراغ فقيرهم وأدوسه برجلي تحت حذائي هذا وأشار اليه بسبابته ، قصد اخضاعهم واذلالهم حتى يذعنوا كلهم للسيطرة الفرنسية ، وهذا ضبع بعد عثورهم على مركز جيش الأمير عبد القادر في مكان يدعى (بوباندو) في الجنوب الغربي للمدينة بعرش ماريوة حيث لا يبعد عن المدينة الا بحوالي ستة كلومترات تقريبا . حيث نتج هذا كله عن وجود تلك الثكنة المشؤومة التي لا نشاهد مثلها الا تلك القاعدة المتواجدة بمدينة اثنية الأحد وبوغار أو تلك القلعة التي لا تزال قائمة الى اليوم ببلدة الداموس دائرة شرشال والتي كان لها دور في القضاء على ثورة البركاني هناك .

ومادمنا بصدد الحديث عن ثورة الأمير بهذه المنطقة ندرج بعض الذين تعاونوا مع الثورة نذكر منهم على سبيل المثال : احمد بن العربي كبير أعيان قبيلة اولاد عبد الله عرش العجامة والذي ولد فيما بين 1816 و 1818 م تقريبا حيث قام بدور مشرف والذي يتمثل في محاربة الاستعمار الفرنسي على المستوى المحلي ، وهو دور لا يستهان به الشيء الذي جعل علاقته حسنة مع خليفة الأمير عبد القادر لهذه المنطقة الا وهو السيد مصطفى بن التامي وخصوصا بعد ما انحسرت الثورة وتقلصت وتحصنت بالجبال والرجوع نحو الهضاب العليا بعد ما تمكن المارشال بيجو من احتلال السهول على طول الخط المتاخم لسلسلة الونشريس شمالا في أواخر عام 1843 م عندما نزل بالأصنام . وقد بقي زعيم القبيلة المذكور الذي هرب من أرضه سنسيغ وغادرها متجها نحو جبال الونشريس الشمالية حيث مكث بها واستمر في عمله الى أن عم الانتشار الفرنسي حيث وجد نفسه وحيدا في الميدان ، وتمكنت فرنسا من فرض سيطرتها الكاملة على الناحية في نهاية الأربعينات من القرن التاسع عشر حيث أرسلت له فرنسا بتسليم نفسه اليها لكنه رفض أن يمتثل لأوامرها الخبيثة ، وهنا ألحت عليه زوجته بأن يسلم نفسه بقولها له :

لقد مللنا وسئمنا من ظاهرة الهروب وحياة الترحال من مكان الى مكان بالاضافة الى كونك وحدك في الميدان ولم يبق أمامك سوى الموت دون أن تحقق شيئا أو تسلم نفسك وتنجو

بها من الهلاك ، ففكر وتدبر ثم ركب جواده وتوجه نحو مدينة حمو موسى معلنا استسلامه . وعند وصوله ادخله القبطان الى المكتب ومد له يده ليصافحه فرفض مصافحته ثم قدم له سجارة فلم يأخذها منه أيضا ثم قدم القبطان له كرسيا فجلس احمد بن العربي ووضع رجلا على الأخرى والتفت عن القبطان كي لا ينظر وجهه حيث طلب منه أن يقبل رتبة آغا على العرش ، فرفض ذلك ، ولكنه بعد مدة معينة وتفكير محكم قبل العرض لينتقم من أولائك الذين تقاعسوا بالأمس ولم ينهضوا ضد الاحتلال الفرنسي حيث بقي قائدا الى أن قدم الشيخ بوعمامة الى هذه الناحية حوالي سنة 1881 لبث أفكار الثورة بها وتهيئها لمواجهة الاستعمار الغشيم .

لكن نظرا لانتشار المجاعة والمرض لم يولوا المواطنون دعوته اهتماما كبيرا ، وفي هذا لوقت بالذات مر الشيخ بوعمامة بالقرب من مدينة حمو موسى قادما اليها من سهول الشلف خلسة ، وقتل ولد مسعود باش آغا لعرش مايوة بسوق البلدة الذي كان يتواجد في البطحاء الواقعة على الضفة الشرقية للنهر من جهة اولاد موجار حيث بعثت هذه العملية رعبا وهلعا كبيرين في نفوس الجنود الفرنسيين المتواجدين بالثكنة لأنهم كانوا يسمعون الكثير على الشيخ بوعمامة مما قذف في قلوبهم الرعب أكثر فأكثر ، ثم قدم الزعيم نحو احمد بن العربي زعيم قبيلة اولاد عبد الله قائد عرش العجامة ، وفور وصلوه اليه قيده زعيم الثوار لأنه شك فيه ، وخاف منه أن يسلم وينشر الخبر للفرنسيين

لكونه قائدا وأطلقوا على الكمبل اسم (المزاني) يعني البياع والخبيث كما كنا نسميه أثناء الثورة ثورة أول نوفمبر 1954 م ، ولكن لم يطل الزمن بعد ليلة أو اثنان حتى سلمت نفسها تلك الحامية التي كانت تصاحب الشيخ بوعمامة الى الفرنسيين أثناء الليل ، وبقي الأسير مكبلا ، والزعيم لا يدري بما حدث من كثرة العياء ، حيث زحف الأسير على بطنه متجها نحو الشيخ الى أن وصل الخيمة التي كان نائما فيها ، فأيقضه ، وقال له : انهض وانظر بنفسك أين رفقاءك ؟ لتعرف منا من هو المزاني ، يعني الخبيث أآنا أم حراسك الذين هربوا وتركوك وحدك ؟ فالتفت الشيخ بوعمامة لأحمد بن العربي وقال له : أعطن العاهد ، فعاهده ثم اطلق سراحه وسلم له أسلحة ورافقه الى منزله حيث نزل ضيفا عنده وبعد مدة معينة انطلق احمد بن العربي صحبة الزعيم بصفته كتصال له أي الحاج أحمد قاصدان البيض جنوب مدينة سعيدة عبر جبال الونشريس الغربية ثم مرتفعات تيهرت بجبل سوفجج ، وعبر ناحية السوقر ثم البيض حيث افترق الرفيقان .

لكن لم يعد الحاج أحمد وحده بل عاد ومعه أمرأة تدعى (العامرية) نسبة الى قبيلة بني عامر ، وذلك لتمتين عرى الصداقة بين الأحباء وهي سنة حميدة يرجع تاريخها الى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

وبعد ماازداد مولود عند العربي ولد الحاج أحمد بن العربي سماه جده بوعمامة ، مع أن اسم بوعمامة لا وجود له في منطقة

حمو موسى بل في عرش العجامة لا من قبل ولا من بعد ما عدا هذا الذي لا يزال أبناءه الى اليوم بمعسكر عاصمة الأمير عبد القادر .

ولصحة الرواية حسبما ذكر ، أعتقد في هذا كفاية .

ومن بين المسؤولين الذين كانوا ضمن جيش الأمير بهذه الناحية حسبما احتفظت لنا به الأخبار المحلية السيد محمد بلحاج الذي كان يعمل تحت قيادة مصطفى بن التامي بمنطقة بني وراغ الى أن أصيبت الثورة بنكسة نتيجة انتشار المجاعة التي نجمت عن سياسة الأرض المحروقة والجفاف ، وخصوصا بعد بناء القاعدة العسكرية الفرنسية التي أصبحت تشكل خطرا كبيرا على بني وراغ الأمر الذي أدى الى تشتيت جيش الأمير ، ولم يبق منه في السنوات الأخيرة من عمر الثورة أي في الأربعينات من القرن التاسع عشر بهذه المنطقة المذكورة آنفا الا حوالي ثمانية أفراد على رأسهم احمد بن العربي ومحمد بلحاج معتصمين بجبال منكورة وشهبة بالشمال الغربي من سلسلة جبال الونشريس التي تحصنوا بها الى أن سمعوا بعقد الاستسلام بين الأمير والجنرال لاموريسير شرق تلمسان فبعث له محمد بلحاج بقوله : هل انقود أو مانقودش ؟ يعني هل يسلم نفسه للعدو الفرنسي وهو يقود حصانه غير راكب ، وهي علامة الاستسلام آنذاك أم يبقى متحصنا بالجبل ولم يقبل الاستسلام حتى يلحقه ما يلحقه ، وهنا جاءه الرد كبقية غيره كل واحد يدبر أمره بنفسه وبعد هذا قاد حصانه وسلم نفسه للاستعمار حيث منحته الحكومة

الفرنسية باش آغا شريطة أن يدلها على معاقل الثورة ، ففكر وتدبر جيدا أو أدرك أنه ليس هناك آمال في استمرارية الثورة ، فأدلها على مركز لجيش الأمير بمكان يدعى (بوباندو) الذي يبعد بمسافة ستة (6) كلومترات جنوب غرب حمو موسى بعرش ماريوة حيث منحته تلك الأراضي الزراعية كهدية منها له فبنى قصره بها واستقر .

ملاحظة : ان السياسة التي انتهجتها فرنسا في تنصيب أولائك الذين كانوا يناصرون ثورة الأمير عبد القادر كقياد باشاغاوات ليس معناه أنها تحبهم ، ولكنها كانت تخشاهم ، لماذا ؟

لأنهم هم أعيان القبائل وأشجعهم وأدراهم بطبائعهم أي بطبائع قومهم وعقلياتهم ، كما يقول المثل العربي : أهل مكة أدرى بشعابها .

هذا من جهة ومن جهة أخرى لترتاح منهم كيلا يبق هناك من يبث التشويش وتحريض المواطنين ضدها ، ومع مرور الزمن سيصبحون أعوانا مخلصين لها ، وخصوصا من يأتون بعدهم من القياد ، وهذا ما حدث بالفعل حيث أصبحت فرنسا هي معبودتهم الوحيدة لا اله غيرها .

وبسياستها الخبيثة هذه نجحت نجاحا باهرا في اذعان الشعوب التي استعمرتها والمبينة على النظرية القائلة (فرق تسود) .

الحالة الاجتماعية ابان العهد الفرنسي

قبل ان نتعرض للحياة الاجتماعية لا بأس وأن نشير الى تصميم المدينة فلقد كان سوقها منذ زمن بعيد يقع الى الجهة الشمالية الشرقية من النهر ثم حول وعين مباشرة عند المدخل للمدينة من الجهة الشمالية الشرقية ، وهو اليوم يعتبر الشريان الحيوي لها من الناحية الاقتصادية فخصص وسطه للمعاملات التجارية ، وقليل من الصناعات التقليدية المحلية ، وأحيط بدكاكين المواد الغذائية والأقمشة وبعض المحلات لحرف مختلفة التي تمتد حسب طول الأزقة الغربية من السوق ، بينما في ساحة السوق يعقد الأهالي صفقاتهم ومعاملاتهم التجارية ، كما توجد بالمدينة عدة مقاهي ، وحمام ، ومركز البريد والمواصلات .

كل هذه المباني كانت تشكل ما يسمى بوسط المدينة ، أما أحياءها فلقد كان حي الصناع التقليديين هو أغنى حي

وأنشطه بحكم موقعه بين المركز التجاري وسوق القرويين التي من السهل التعرف عليها نظرا لبساطتها ، أما الحرفيون الأخرون فكانوا يسكنون في أحياء حسب اختصاصاتهم المهنية .

أما الحياة الاجتماعية كان يغلب عليها الطابع الديني والفلاحي وقليل من التجارة ، أما الزراعة كانت هي الأخرى تكتسي طابع الزراعة الواسعة والتي تعتمد على ما تجود به الطبيعة من أمطار ، لذا كانت زراعة محدودة الانتاج بحيث لا تكفي لسد حاجيات المواطن السنوية ، الى جانب تربية الحيوانات القليلة التي يعتمد السكان في تربيتها على ما تجود به الطبيعة من أعشاب ومياه الشرب ، ولهذا فانتاجها محدود هو الاخر الشيء الذي جعلها تتعرض للضياع وكل الناس كانت تتعطل في أيام الحفلات الدينية كعيد الفطر وعيد الأضحى الذي كان كل السكان صغارا وكبارا يرتدون فيه أبهى ما لديهم من ملابس كالحلل الفضفاضة والبرانيس الصوفية الجميلة ، أما ربات البيوت يقمن بتحضير الطعام وبعض الحلويات وتقديمها للمتغافرين الذين يجتمعون يوم العيد ، حيث بعد الطعام المقدم لجميع الحاضرين بما فيهم فقراء أو أغنياء كانوا بمثابة صدقة على الأموات من المسلمين وذلك ليفرح الجميع بعيد المغفرة والرحمة عند المسلمين .

لكن ابان فترة الاستعمار الفرنسي البغيض لقد أدخل طابعا آخر على الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، والذي يكتسي صبغة خطيرة على المواطنين تمثلت في المآسي التالية :

وقبل أن نتعرض لذكرها ووصفها لا بد وأن نشير الى الأسباب التي جعلت العدو يركز حججه الواهية عليها ويصب حقده على المواطنين العزل وهي : أن بقاء المقاومة مستمرة فيما بين 1843 ، 1847 م وتعصب هذه القبائل قبائل بني وراغ لدينهم وشخصيتهم ، وعدم قبولهم للاختلاط بالأجنبيين والامتثال له تظهر لنا بوضوح في المعالم الفرنسية التي تتمثل خصوصا في اقامة ثكنة عسكرية حصينة كما سبق ذكرها على أكمة مطلة على الوادي محاطة بصور متين البنيان تتخلله منافذ صغيرة يراقب منها حراس المعسكر ، ويطلقون منها الرصاص على كل من تسول له نفسه المحاولة بالاقتراب منهم بالاضافة الى السراديب والدهاليز التي جعلت خصيصا للجوء اليها عند الضرورة ، ولم يكفيهم هذا كله بل راحوا يشيدون برجا للمراقبة على رأس أعلى هضبة تمكنهم من الرؤية على مسافات بعيدة حيث نصبت بها مدافع الهون البعيدة المدى ، ويصل بين الثكنة وبرج المراقبة نفق تحت الأرض يبلغ طوله حوالي 200 مترا حيث تتم الاتصالات بواسطته خوفا واحتياطا و تحسبا لما تكنه لهم الأيام القادمة ، وبحكم هذه التدابير والاجراءات العسكرية ، والتحصينات الكبيرة التي كلفتهم صرف أموال باهضة التكاليف لأصدق دليل على عظمة الثورة ووقوف السكان في طريق الزحف الاستعماري وانتشاره في بقية المناطق ، وبعدما تمكن العدو من بسط نفوذه على المنطقة نهائيا تشتت قبائل بني وراغ وغيرها من القبائل الأخرى في الأدغال عبر التلال والمرتفعات التي تكسوها

الغابات معرضين لجميع أنواع الحرمان من الحياة كالجوع والفقر المدقع والمرض والجهل الشيء الذي أتاح الفرصة للعدو أن يكون على ما يسمى بالقياد والنواطير والشواش أو المخازنية من الفئة التي كانت على صلة معها حيث أنشأت القاعدة العسكرية على كاهل المواطنين الذين ألقت القبض عليهم ومركزا اداريا ، وسكنات للحاكم الاداري وخليفته في منخفض على ضفة الوادي بالقرب من الثكنة التي تحميه ، ثم عمدت الادارة الفرنسية الى بناء سجن كبير بالنسبة لكثافة السكان المنخفضة آنذاك وشرعت توجه التهم الملفقة والمزيفة لجميع المواطنين الذين ترى فيهم روح الرجولة والحياد الكامل ، والابتعاد عن مرافقتهم ، والتمسح بهم فتحرض رجال الجندرمة والقياد وأعوانهم بالتسلط عليهم ، وقهرهم ، وفرض غرامات مالية باهضة التكاليف لتفقرهم وتحط من قيمتهم ، وبالتالي أخضاعهم لها نهائيا حتى يتسنى لها أن تعيش في أمان وراحة تامة واطمئنان دائم ، ومن لم يصغ لاتباع الادارة فالسجن ينتظره حيث يسجن المواطن على حاجة بسيطة مثلا : اذا سرق قليلا من الزيتون في وقته اذا مر ببستان المعمر ، أو ينزع حبة برتقال أو يأخذ حبة بيض ان كان يعمل عند المعمر ، وهذا طبعا كله ناجم عن الخراب والدمار والفقر والجهل والمرض الذي تسببت نشره الادارة الفرنسية ، وسجنها للمواطنين واعتبارها لهذه الأعمال مخالفات ضد القانون هي لا تعني بهذا أنها تنشر العدالة التي في الحقيقة بهدلة ، وانما قصدها اظهار قوتها وفرض سيطرتها وتحكمها

الكامل وجعل المواطنين لا يفكروا في حاجات أسمى وأبعد من هذه الوضعية السيئة التي جعلتهم يتخبطون فيها دوما وأبدا .

ولتغطية تلاعبها بهم أنشأت أيضا مقرا لمحكمتها والقيام بنشاطهم تمثيل دور المماطلة والنفاق والصمصرة الرعناء المكشوفة ، وشرع القياد وأتباعهم في تحريض المواطنين على بعضهم بعضا لتكثر وتزداد النعرات والخصومات فيما بينهم والنزاعات المستمرة والفوارق الجهوية التي ينجم عنها القتل والعداوة ، وانتشار البغضاء والمستفيد الأول من هذا كله بطبيعة الحال من هذه الظاهرة الفاسدة هو الاستعمار وأعوانه الخونة ، والخائن الأول هو القائد الذي يصمصر الشعب ، ويبيعه للعدو وبأبخس ثمن .

ثم فتحت أبواب مركزها العسكري بالمدينة لمن يرغبون التجنيد في الجيش الفرنسي ليضمن قطعة خبز يأكلها في بطنه ، ويبعث لأهله تلك الفرنكات التي تسلم له شهريا ، واذا مات قبل خروجه من الحالة الجندية فان الحكومة تدفع لأهل الضحية قليلا من الدريهمات موسميا مقابل دية ولدها يقال لها (المحنة) يعني فرنسا تعطف وتحنو على عائلة الفقيد ومن هنا جاءت كلمة فرنسا الأم الحنون . أما الذي يجند تحت ضغط قانون التجنيد الاجباري فلا يسلم أو يمنح له شيئا اللهم الا اذا مات ، وقد توسعت ظاهرة التجنيد الاجباري خصوصا أثناء الحرب العالمية الأولى 1914 ــ 1918 م وثورة عبد الكريم الخطابي بالمغرب الأقصى 1921 ــ 1926 م والحرب العالمية الثانية

39 ــ 1945 م وسياسة فرق تسود ، وفرض ظاهرة التفقير عن طريق ارهاق المواطنين بضرائب باهضة اضطر الكثير من الأهالي الى جعل أراضيهم عرضة للبيع بالمزايدة حيث تمكنت طائفة من اليهود الذين يتواجدون بالمدينة من شرائها بأثمان رخيسة ، وأصبحت هذه الطبقة المتعفنة فيما بعد هي المالكة للسهول التي تحيط بالمدينة على رأسها (بوزو) الى جانب أفراد قلائل جدا من سكان البلدة الذين تمسكوا باذيال هذه الطائفة ، وأطلقوا اسم الأعمى موسى على مدينة حمو موسى تشويها لاسم البطل الزياني ، واستهزاء بالمواطنين .

وهذا ما جعل الكثير من الأهالي يهجر أراضيهم ، وتوجهوا نحو الجبال التي أضحت عرضة لتعريتها من غطائها النباتي ، مما سهل عملية الانجراف واتلاف التربة ، وتشويه وجه الأرض الغابية مقابل الحصول على قطع أرضية جديدة بتلك المنحدارت الوعرة وحرثها للحصول على قليل من الشعير ، ونصيب من القمح والفول بحيث لا تسد هذه المحاصيل حاجيات المواطن الا على ثلثي $\frac{2}{3}$ السنة والباقي من العام يلتجيء فيه الفرد الى الاقتراض والسلف الشيء الذي يجعله مدانا دائما فلا يرتاح له بال ولا يستريح ضميره من التخميم أبدا ، وهذه الحالة تحتم على المواطن في الرق والعبودية ويصبح تابعا لأحد المعمرين وهكذا عندما بسط الاستعمار نفوذه بصورة كاملة واستتبت له الأمور سنة 1891 م شرع في عملية الاحصاء بجعل ما يسمى بتنظيم تعداد السكان وتكوين الحالة المدنية وبروز

ظاهرة عقد الازدياد وعقود الزواج والحالة العائلية وهذا حتى يتسنى لها معاينة كل مواطن يكون في أي مكان الشيء الذي مكنها من استغلال الأهالي استغلالا فاحشا ، وفرض عبدويتها الكاملة على سكان المنطقة ، وهنا نزلت المصيبة الكبرى المتمثلة في ظهور البيروقراطية المتعفنة التي لا يزال أثرها المشؤوم مستمرا الى يومنا هذا الذي يعتبر الشيء الوحيد الذي لا يزال يعاني منه المواطنون .

وبالاضافة الى هذا كلفت القياد والنواطير المعرفين اليوم بشرطة البلدية وكبير الدوار كما تسميه فرنسا garde champettre et chef de fraction باحصاء الملكيات حيث كان المواطن أو الفرد الجزائري يدفع الغرامة للمستعمر بهذه الناحية على كل ما يملكه من حيوانات ، وعلى رأسه هو شخصيا ، ومسكنه ، والريح الذي يصفي عليه حبه في الصيف والهواء الذي يشمه ويستنشقه بأثمان متفاوتة ، ويغرم المواطن على الكلب ثمنا أقل من الماعزة ثم النعجة ثم البقرة والتي لا تحلب أقل من البقرة الحلوب ، ويدفع غرامة معينة على الحمار وفي الدرجة الثانية البغل ثم الفرسة وأغلاهم حصان السرج المستعمل والمخصص للفروسية واللعب . والمسكن هو الآخر يتفاوت في ذلك ايضا ، فللكوخ ثمنا أقل ثم الدار المغطاة بالتربة وتأتي الدار المغطاة بالقرميد فهي أثمن من سابقتها ، وكذلك الأرض هي الأخرى منها الأراضي الجبلية التي لا تحرث الا بواسطة الحيوانات والمحراث الخشبي والاراضي السهلية والمروية .

وهنا أقول : على القارئ أن يقف هنيهة عند هذه الفقرة ويتمعن جيدا ليدرك ما كان يتصرفه الاستعمار الفرنسي بل الاستدمار أو ما يسمى حديثا بالاستخراب الفرنسي في أجداده وأبائه ابان فترة الاحتلال لبلادنا ، ويقارن بين الزمنين ، زمن ما قبل الثورة المجيدة 1954 وزمن الاستقلال ما بعد 1962 الى يومنا هذا كي تتضح له الأمور جلية ويحكم على ايهما أحسن وبالفعل من له شعور واحساس بالآخرين سيحس ولا شك بالظلم والسيطرة البشعة والاستغلال الفاحش المطلق الذي فرضه الاستعمار على أهلنا في الجزائر .

ومن لم يستطع دفع الجزية أو الضرائب المترتبة عليه يبعث له الحاكم القائد والناطور والمقوم الذي يدعى اللوسي) الحرص وحجز كل ما يملكه المواطن الفقير من الملعقة الى السطل ، ويجردونه من فراشه وغطائه ان وجدوا ذلك غير مبالين به ان يبقى عرضة لقساوة الطبيعة التي تجعله في خطر دائم معرض للمرض والجوع والموت كما يبحث القائد وأعوانه على كل من يملك بندقية يحرس نفسه وماله تها خوفا عليه من اللصوص ، أو من له حرفة في صنع البارود الذي يستعمل في الحفلات والأعراس حيث يفرض عليه القائد أن يقدم له كبشا وكمية من العسل والزبدة ويصطاد له الحجل والا سيخبر ويعلم عليه السلطة الفرنسية فيقاد الى السجن .

هذا من جهة ومن جهة أخرى في حالة ما اذا صادف رجال الجندرمة الفرنسية أحد الأهالي راكبا على حماره ورجليه في

جهة واحدة من الحمار أو يشاهدون جرحا في هذا الحيوان فانهم يعتبرون هذا المواطن مخالفا لقانون السياقة ولم يحسن تربية الحيوان والحفاظ عليه فيفرضون عليه غرامة مالية معينة بحجة عدم الرعاية عنده ولكونه حوذي لا يرفق بالحيوانات .

وهي في الحقيقة اجراءات تتخذ عمدا لاستغلال المواطن استغلالا فاحشا وفضيعا وجعله لا يفكر الا في كيفية الحصول على هذه المبالغ المالية ودفعها للدولة ، وينجو بنفسه من السجن الذي ينتظره بين عشية وضحاها ، ولذا نسوق هذا الحديث أو الوصف البسيط المتواضع لأولائك الذين ينتمون الى من غسلت أو اجريت لهم عملية غسل الأمخاخ وأصبحوا يعملون ضمن القوة الثالثة التي ولدت عن السياسة الاغرائية والمشاريع الاجتماعية المتمثلة في مشروع قسنطينة الذي تبناه الجنرال ديغول في أول أوكتوبر عام 1959 م قصد افشال الثورة والقضاء عليها ، الشيء الذي جعل الكثير من هؤلاء المغرورين يدعون بأن الجنرال ديغول منح الاستقلال للجزائريين ، ولم يحصلوا عليه بالتضحية والجهاد المقدس ، لذا أقول لهم اقرأوا عملية حرب الابادة التي شنها ديغول بقيادة صيدقه الجنرال (شال) عام 1959 المتمثلة في العمليات التمشيطية والتربيعية ، والقنبلة دون تمييز وخصوصا في منطقة جرجرة وبالذات في أكفادو المعروفة بعملية (جيمال) وشمال قسنطينة والاوراس والونشريس ، وغيرهم .

الادارة الفرنسية بمدينة حمو موسى :

كانت تتكون من المجلس البلدي المختلط ، ويشكل المستوطنون فيه نصف أعضائه بينما يشكل المواطنون النصف الآخر ، ويرأس هذا المجلس أوربي معين من قبل الحاكم العام ، يدعى عند السكان بالحاكم ونائبه يدعى «الخليفة» للحاكم هذا حامية مكونة من مواطن المدينة العرب تسمى بـ (الشواش) ، وفرقة الجندرمة ثم القياد على العروش أو الأعراش الذين بلغ عددهم (25) قائد ومساعدوهم من النواطير أو ما يسمون بحراس الريف ، ولكل منهم لباسه الخاص حيث يرتدي الشواش أو المخازنية سراويل فضفاضة صفراء وسترات من نفس الطراز يضعون علي رؤوسهم شواشي ذات نوع خاص عليها لثام أبيض يعرف عند العامية بـ (القنور) أو الكلاح كما يسمى في عدة جهات أخرى من الوطن يحملون عصيا يضربون بها المواطنين القادمين الى مكتب البلدية للحصول على عقد الازدياد أو تسجيل بعض المواليد خوفا من أن يعلم عليهم كبير الدوار القائد ، لأن جل المواطنين كانوا يرفضون تسجيل أبنائهم كيلا يدخلوا سجل التجنيد الاجباري ، أو تسجيل بعض الوفيات كي ينجوا من كبير الدوار والقائد وأعوانه بصفة عامة وكما هو معلوم لا يتم هذا التسجيل الا بعد تقديمّ رشوة تفتح قلب العامل بالمكتب ولو بدون قانون المهم أن يحصل على رشوة المعروفة أو ما تُسمى اليوم بـ (قهوتك) الشيء الذي جعل جذوعها تتعمق بشكل أوسع وتزداد في نفوس الكثير من

الطامعين الى يومنا هذا بالرغم من ان الحديث القائل : لعن الله الراشي والمرتشي والماشي بينهما . صدق رسول الله .

كم نتمنى أن تتناقص وتقل حدتها أو تزول نهائيا لأنها ظاهرة استعمارية واستغلالية في آن واحد وعادة فاسدة في نفس الوقت .

أما القياد لهم علامة خاصة ومغايرة يرتدون أردية حمراء يستقبلون بها الحاكم أو يوم قدوم أحد القادة الفرنسيين الى القاعدة العسكرية فيلبسون هذه البرانيس فوق العباءات والسراويل الفضفاضة ويركب كل واحد حصانه ويتقدمون في موكب رائع لاستقبال ضيفهم .

أما الأيام الأخرى يلبس القائد ما يريد ويخرج وهو يتبختر في المداشر بين سكان الأرياف التابعين لعرشه ، وهو يتمايل كأنه سلطان يحكم بحكمه والناس تسمع لكلامه ، فيستقبله كبير الدوار ومن معه استقبالا حارا منقطع النظير مع وجهاء القبيلة ، فيحضرون المشوي ، والطعام فيأكل حتى لا يستطيع الركوب على حصانه أثناء العودة الا بمساعدة مضيفه ، وبعد انتهاء الوليمة وتسجيل كل من له الكثير أو القليل من الممتلكات احضار لدفع الضريبة يعود محملا بالدراهيم والزبدة والعسل ، والخراف ، وصيد الحجل كي لا يسجل عليهم كل ما يملكونه من ماشية وأرض وغيرهم ، أما الناطور يرتدي رداءا أزرقا ويركب حصانه ويرافق القائد أحيانا وفي معظم خرجاته ، وأحيانا يجول هو الأخر

وحده في وسط العرش حيث له هيبته بالرغم من بساطة درجته في السلم الاداري ، وهذا دليل على أن فرنسا كانت تفوض لهما الأمور فيتصرف كل منهما تصرف الذئب في القطيع حتى تستغل قلوبهم وتشتري ضمائرهم وعقولهم حتى لا تبق عندهم لا شفقة ولا رحمة اتجاه المواطنين فيعملون بكل ما في وسعهم لصالح الدولة الفرنسية ولا يعرفون الله ولا رسوله بل يطغون ويبغون حتى على أهلهم وذويهم فما بالك بالآخرين ؟ هذا ما يمكن أن يقال حول الانظمة الاجتماعية التي عاشها سكان هذه الناحية طيلة قرن وربع قرن من عهد الاستعمار الفرنسي المظلم .

بعض العادات والظواهر التقليدية

للنظام الاجتماعي

من المعلوم أنه لكل جهة من الوطن يمتاز سكانها بميزة معينة وخصائص في العادات والتقاليد التي تتواجد في منطقة ما من مناطق القطر فرضتها ظروف معينة .

وان كانت تتشابه في كثير من الانماط السائدة بوجه عام ، فانها تختلف في القليل منها لذا ، لا بأس وأن نشير الى بعض العادات والتقاليد المنشرة بمنطقة بني وراغ حمو موسى .

نذكر منها على سبيل المثال :

ظاهرة الزوايا :

لقد ظهرت زوايا بهذا الاقليم تابعة لزاوية مولاي عبد الله الشريف الوزان وهي محجة ومركز الطريقة الطيبية نسبة الى

مولاي الطيب الذي حمل لواء الصوفية في العهد العثماني بالمغرب الأقصى ، وأحد أفراد الفرقة المتدينة التي ظهرت ابان عصر الانحطاط لترد على ما كانت تقوم به الفرق التي كانت ترتكب الحرمات والفواحش منتهكة في ذلك كل القيم الاسلامية ، ومن جملة الفرقة المتدينة نذكر الشيخ البصيري رحمه الله الذي كان يرثي ويمدح رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام في قصائده المشهورة : نهج البوردة .

ان تشييد الزوايا بهذه الناحية كما اسلفنا الذكر بنيت على أساس احياء ونشر الطريقة القادرية بالمنطقة ، وهي طريقة نسبت كما هو معلوم الى الشيخ عبد القادر المتوفي سنة **1166** تقريبا ببغداد والتي انتشرت في العالم الاسلامي داعية الى التصوف والتقوى .

والصوفية فئة من المتعبدين ، واحدهم «الصوفي» وهو عندهم من كان فانيا بنفسه بالله تعالى مستخلصا من الطبائع متصلا بحقيقة الحقائق .

عبد القادر الجيلالي رحمه الله (**1077 — 1166**) مؤسس الطريقة القادرية ومن كبار الصوفيين فتح له زاوية في بغداد له المؤلفات الدينية العديدة أوصى بالمحبة للغريب وبالتقشف .

هذا التقشف الذي أصبح العديد من الدول اليوم ينادون به ، وتطبيقه حسب متطلبات العصر ، ومن هذه الزوايا زاوية ملاي الطيب الذي قدم أحد أتباعه من مدينة وزان بالمغرب

الأقصى في أواخر العهد العثماني الى الجزائر ، ومكث بهذه الناحية التي أنشأ بها أحفاده زاوية بمكان يدعى بوغيدن عرش مكناسة وأخرى بمدينة حمو موسى .

ان أول خطوة مباركة قامت بها الزوايا هي : تحريض الشعب ضد الاستعمار وأعداء الدين الاسلامي ، حيث أسس مركز قرب حمام منتيلة بالمرتفعات الشمالية الغربية لجبال الونشريس وهو مكان يلتقي فيه الثوار لعقد ندوتهم السنوية للتشاور تبعا لقوله تعالى : (وشاورهم في الأمر) (الآية) حيث يوزع السلاح على الثوار به ، وذلك ابتداء من ثورة الأمير عبد القادر الى ثورة الشيخ بوعمامة 1881 وقد حدد هذا اليوم يوم انعقاد الندوة بيوم أول محرم وهو شهر (عشراء) وقد اختير هذا اليوم لأنه أول يوم هاجر فيه رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام . وقد أطلق على هذا المركز اسم دار التضامن من حيث يجتمعون فيه لتجديد العهد ومواصلة الكفاح ضد العدو الفرنسي بأي طريقة كانت طبقا للحديث النبوي الشريف القائل : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ومن لم يستطع فبلسانه ومن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان . الحديث .

ولكن مع مرور الزمن وتزايد خطر الاستعمار والضغط المستمر على المواطنين وكشف المكان المذكور الذي غير اسمه الى دار الضمان بعدما بحث العدو عن معنى كلمة التضامن ، فأخبروه أنه يعرف بدار الضمان يعني من يزوره أصبح مضمونا لا يدخل نار جهنهم وهذا طبعا لمراوغة قوات الاحتلال الفرنسي

ومع طول المدة الزمنية أصبح في نظر العامة انه فعلا من دخله وزاره يكون مضمونا يوم القيامة من العذاب ، الشيء الذي شجع الكثير بالذهاب اليه من بعيد ومن قريب ليتبرك به فتهدر فيه أموال طائلة في جلسات الرقص وطلقات البارود ، وتقديم الدارهيم لصالح الشيخ عندما يوضع برنوس مولاي الطيب بينهم ، ثم يقدم الطعام وهي عملية عمد أصحابها للابتزاز والحصول على أرباح سنوية باهضة وهكذا تحولت الى القيام بنشر ما يسمى بظاهرة الدروشة والشطحات والخرافات المبتدعة في أماكن مختلفة ، وخصوصا بعدما أصبح يتحكم فيها البسانيس الذين يعرفون بأولاد بلمرامبط الذين كانوا يشكلون مجموعة كبيرة من القياد الذين عبثوا بها ونشروا فيها فسادا أوقف مشايخها ضد الانتخابات السياسية التي كان يدعو اليها احمد فرنسيس والسيد فرحات عباس ورفاقه من أحباب البيان منذ ما قبل 1945 م ، حيث بقيت مستمرة على هذا النمط الى أن غلقت أبوابها أثناء الثورة المسلحة منذ عام 1957 م ثم استأنفت نشاطها غداة الاستقلال ثم أغلقت قسرا من طرف الدولة في أواخر الستينات ، وحول طعمها الى مقبرة الشهداء بجبل بوركبة المجاور لها في كل يوم من 20 أوت يوم المجاهد 1955 م .

وقد كانت تعدد دار الضمان مؤخرا كتلك الدار التي بناها أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية بسطيف وأطلق عليها اسم : الدار الاسماعيلية وكتب على جدرانها من الخارج من دخلها فهو مؤمن ويمكن لزائرها أن يكتفي بالحج

اليها ، ريثما ينزل الامام المهدي المنسوب الى عودة سيدنا عيسى عليه السلام .

والمتمثل عند أبي عبد الله الشيعي في أبي عبيد الله المهدي الفاطمي زعيم الدولة الفاطمية ومؤسس عاصمتها المهدية بتونس حيث لازالت هذه الدعاية سارية المفعول الى يومنا هذا في أذهان الكثير الذين ينتظرون نزول الامام المهدي من عند الله وهي نفس الدعاية التي عمد اليها المهدي بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية وهذه كلها خرافات اتخذت عمدا لكسب القضية وتحقيق أغراضهم آنذاك ، وقد اتخذوها لاقناع الناس وجعلهم تابعين لهم ومؤيدين لدعوتهم ، ومنها كذلك فكرة المرابطين الذين يعتقد الكثير أنهم ملائكة بعداء كل البعد عن ارتكاب الذنب وفعل المحرمات والفواحش بينما هم أناس كغيرهم من البشر فهم ينتمون الى دولة المرابطين التي تكونت في الرباط (زاوية) أقامه يحي بن ابراهيم الكدالي والفقيه المالكي عبد الله حوالي عام 430 هـ ، وسرعان ما تجمع حول الفقيه طلبة العلم من قبائل صنهاجة الملثمة يأخذون عنه العلم والسلوك ، فلما بلغ عددهم ألفا وآنس منهم الاستعداد للجهاد عقد قيادة الشباب المتحمس للأمير يحي الذي خرج بهم من الرباط باتجاه الشمال سنة 434 هـ فأخذت تتكتل حوله القبائل الصنهاجية حتى استطاع بها انشاء تلك الدولة القوية التي قادها يوسف بن تاشفين سنة 466 هـ وفتح الجزائر سنة 475 هـ لتوحيد المغرب العربي ، ومنذ ذلك الحين انتشرت فكرة المرابطين .

مع أن أصل هؤلاء المرابطين يعود الى صنهاجة الملثمة كما أسلفنا الذكر والذين هم في الحقيقة بربر أمازيغيون من السكان الأصلين للشمال الافريقي .

لكن سكان هذه المنطقة نجدهم قد حادوا عن المسار الصحيح للطريقة القادرية ، وذلك لعدة عوامل طرأت وغيرت الوضعية الأولى وهي : .

أ ــ العامل الاستعماري الذي عمل على تغييرها وتحويلها الى سياسة الدروشة والتدويخ .

ب ــ مشايخ الزوايا لم يكونوا أقوياء في المستوى حتى يستطيعوا المقاومة والوقوف ضد التيار الاستعماري ، وتوعية الشعب بخطر الاستعمار الداهم لهم .

ج ــ سياسة التجويع التي انتهجها المستعمر كسلب الأراضي وتهجير الأهالي نحو الجبال حيث الفقر المقدع والجهل والمرض .

لذا اقتصر فيها أي الطريقة القادرية على القيام بوليمتين مباحتين ، تقام احداهما في شهر أبريل والثانية في شهر سبتمبر حيث أطلق سكان المنطقة على الوليمة (طعم ملاي عبد القادر الجيلالي) بحيث يخصص الأهالي يوما مسبقا يلتقون فيه كسوق غير عادي يتبادلون فيه البيع والشراء فيقضون مآربهم استعدادا ليوم (الطعم) كما يسمونه ، ويدعى هذا اليوم بالسويقة أما يوم الغد يخصص للفروسية ولعب الخيل المفضل عندهم . حيث

تعين قطعة أرض فسحية لتجرى فيها ألعاب الفروسية ، وفي انصباح الباكر يتوافد الناس عليها من كل صوب فيصطفون على طرفي المشوار ليتمتعوا بسباق الفرسان وسماع طلقات البارود ، وما تقدمه الفرقة الفلكلورية التي منها من يضرب على الدف أو الطبل المعروف بهذه الجهة بـ (القلال) ، ومنهم من يعزف على الزرنة (الغايطة) والآخر يمدح فرسان الخيل ، والمعروف في هذه الناحية بـ (البراح) حيث تقدم الدراهيم لهذه الفرقة كجزاء لما تقوم به من أفراح وما تقدمه من نشاط كما يوجد فيما وراء هذه الجموع الغفيرة المصطفة على حافتي المشوار تجمعات على شكل حلقات تتوسطهم فرق فلكلورية تتكون كل منها من مغني يدعى بهذه الجهة من الوطن بـ (المداح) الذي يروي على مسامع الحاضرين المتفرجين ملحمة السيد علي كرم الله وجهه ، ومن معه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقصة وادي السيسبان ، وديوان الصالحين على رب والوالدين الذي يعد جزء من فن الجوالة الذي يرجع تاريخه الى القوطيين الاسبان ثم طور في عهد الأمويين بالأندلس وأضحى تراثا عربيا محضا .

وما أشبه ذلك من القصص المسلية التي يرافق المداح فيها اثنان يعزفان على آلة القصبة ورابع يضرب على الطبل (القلال) بينما المداح مرة يغني وأحيانا يجمع الدراهيم التي يهديها له المنفرجون بمثابة صدقة على من يريدون الصدقة عليه ، فيدعو لهم بالخير والبركة والسعادة ، وهكذا كان لهذه المناسبة صدى

كبير في نفوس سكان هذه الجهة ، حيث يقصدها الصغار والكبار ، وحتى الرعيان يأتون بقطعانهم قرب هذا المكان ليتفرجوا نصيبهم من تلك التظاهرة ، وهكذا دوليك .

وعندما يقترب حلول منتصف النهار تقريبا يهب كل من يقيم وليمة يبحث على جماعة ممن جاءوا من خارج العرش الغير المعنيين بالطعم والذين يطلق عليهم اسم (البراوية) الى منزله ، وهم في فرح وسرور ، ويتبادلون الحديث أثناء الطريق وفي المنزل ، فيتجاذبون أخبار الماضي على صيغة مسلسل تاريخي طويل ريثما يأتيها الأكل وعندما يحين وقت تناول الطعام ينقسمون الى جماعات فيأكلون ويشربون الشاي والقهوة ثم يشيعهم صاحب المنزل آملين أن يلتقوا في المناسبة المقبلة فيتفرقون والفرحة لا تبرح محياهم ، لذا أصبح يعتبر هذا اليوم عندهم بمثابة ركن للتعارف حيث يلتقي فيه ما يزيد على ثلاثة أعراش التي تتوافد اليه ، فيتعارفوا على أحوال بعضهم البعض ويزيد هذا اللقاء في تمتين الروابط والعلاقات الودية ، ويعد من هذان اليومان الفريدان من نوعهما في السنة ليمتحن الفارس نفسه بنفسه ، والذي لم تسبق له مشاركة في اللعب خاصة فيطلع على نفسه ان هو متمكن في عالم الفروسية حسب مفهوم ذلك الوقت ، والتي تسمح له بالمشاركة في قافلة الخيالة التي يطلق عليها اسم (العلفة) أو (القوم) التي تتكون من مجموعة فرسان وربما كانت تعد هذه التظاهرة المناسبة الوحيدة التي تجعل الوافدين اليها أن ينسوا همومهم وتعاستهم ومحنهم التي جعلهم الاستعمار يتخبطون

فيها دوما وأبدا ، ومنذ حوالي 1967 نلاحظ هذه الظاهرة قد اختفت ، واقتصر المعنيون (بالطعم) أي ذلك اليوم الربيعي والخريفي الذان يمتازان بميزة خاصة لدى سكان الناحية قلت اقتصروا فيه على تحضير الطعام واستدعاء أقاربهم فقط بدعوى غير قادرين على قطع اغفارت سيدي عبد القادر الجلالي .

كما يسمونها أي الوعدة أو الثمرة التي وعدوا بها منذ زمن طويل . وهي تعني في حد ذاتها المحافظة على الوعد كي لا يتعرض أحدهم لمكروه .

واذا نظرنا الى هذه العادة التي حادت عن مفهومها الحقيقي كما أوصى بها الشيخ عبد القادر الجيلالي كما أسلفنا الذكر نجد لها جانبين : احداهما سلبي والثاني ايجابي .

إ ـــ الجانب السلبي يتمثل فيما اذا كان هؤلاء الذين يطعمون على الشيخ عبد القادر الجيلالي ليكون وسيطة بينهم وبين الله فانه يتبرأ منهم لأن هذا الاعتقاد حرام كما ورد في قوله تعالى : واعبدوا الله ولا تشكروا به شيئا . (الآية) .

ب ـــ الجانب الايجابي يتمثل في خاصية الكرم وحسن الضيافة كما كانت سابقا بحيث يحضر الوليمة الغني والفقير والايتام على الخصوص الذين ينتظرون هذا اليوم بفارغ الصبر لأنه اليوم الوحيد الذي يشبعون فيه بطونهم ، ويتيح هذا اليوم الفرصة لمن يريد التعلم وامتحان نفسه بنفسه في ميدان الفروسية ، واليوم الوحيد يستمتع فيه الأهالي بتلك الأساطير التاريخية والحكايات

الطويلة التي يرويها المداح على مسامعهم ، فيمتعون بها أنفسهم وتخفف كربهم ، وخاصة عندما يسمعون ما فعله السيد علي في الكفار ، وان دل هذا على شيء فانما يدل على مدى حقدهم على الاستعمار الفرنسي في بلادنا ، كما يتعارف الكثير فيه بعضهم البعض لأنه لا يعتبر سوقا جعل للبيع والشراء ، وتبادل الصفقات التجارية ، وانما هو يوم معلوم للراحة والتمتع ، ونسي الهموم ومشاق الحياة التعسة التي فرضها عليهم المستعمر .

وهنا يجوز أن تقال في حقهم الأبيات الشعرية الآتية لحسان بن ثابت كقوله :

والخالطون فقيرهم بغنيهم ، والمنعمون على الضعيف المرمل
يغشون حتى مات هر كلابهم ، لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة أحسبهم ، شم الأنوف من الطراز الأول

هذا ما يمكن قوله فيما يتعلق بالعادات والتقاليد البارزة بهذه الناحية .

الخريطة الطبوغرافية
لبلدية حمو موسى

اذا ألقينا نظرة على الخريطة الطبوغرافية لبلدية حمو موسى أول ما نلاحظه هو الطابع الجبلي الذي نجد أغلبه قد فقد غطاءه النباتي منذ دخول الاستعمار الفرنسي الى بلادنا ، وخصوصا أثناء الثورة المسلحة 1954 ، وفرسنها من طرف بعض المواطنين للحصول على قطعة أرض للحرث واحراقها من طرف الجيش الفرنسي ، على اثر الاشتباكات التي جرت بين الثوار وقوات العدو .

اذ يغلب على المنطقة المرتفعات والتضاريس فأعلى قمة هي قمة (جبل بوركبة) التي يصل ارتفاعها الى 1400 م فوق مستوى سطح البحر وكلما اتجهنا الى الغرب فان القسم الجبلي يبدأ في الانخفاض تدريجيا ، أما من جهة الشمال فان الانحدار بسيط تدريجيا الى أن ينعدم عند الشريط السهلي المحاذي للنهر الممتد من الجنوب الى الشمال ، ويظهر هذا الشريط هو سبب الحياة للمدينة حيث التركز العمراني والنشاط الاقتصادي .

وأهم ما يلفت انتباه كل زائر لمدينة حمو موسى ـــ هو عدم التوازن في توزيع السكان على جهات البلديات فمن الجنوب الى الشمال نجد قرية (عين طارق) ثم مدينة حمو موسى فقرية (الاحلاف) وكلها تقع على محور واحد ، هذا المحور الواقع على الضفتين الممتدتين للنهر وتركز السكان على هذا المحور الواقع راجع لعاملين رئيسيين هما استواء الأرض وغزارة المياه نسبيا ، ويمكن أن نضيف عاملا ثالثا لا يقل أهمية عن العاملين السابقين ، وهو توفر طرق المواصلات .

وأخطر ما تتعرض له الأراضي الزراعية عموما هو شدة انجراف التربة وبالتالي فقرها للغطاء النباتي وقلة سمكها وفعاليتها .

المناخ :

تقع المدينة كما سبق ان ذكرنا ضمن كتلة جبال الونشريس المنتمية الى سلسلة الأطلس التلي ، فهي اذن خاضعة لاقليم المناطق الداخلية الجافة الحارة صيفا ، والباردة القارة شتاء ، وهذا راجع لبعدها عن المؤثرات البحرية ، وتهب على مدينة حمو موسى رياح غربية المحملة ببخار الماء ، وذلك في الفترة الممتدة ما بين أكتوبر وشهر ماي لكن كمية الأمطار التي تتساقط بهذا الاقليم غير كافية كما هو معلوم في كامل القطاع الغربي من البلاد وهذا راجع لكون التيارات البحرية المحملة ببخار الماء الآتية من المحيط الأطلنطي تصتدم بجبال الأطلس بالمغرب الأقصى حيث تتضاءل كميتها كلما اتجهت نحو الشرق المغربي

تم القطاع الوهراني فلا يصل منها الا القليل ، لذا تعتبر المنطقة مهددة دوما بالجفاف .

أما من جهة الجنوب فتهب عليها رياح جنوبية حارة ، وبصورة خاصة في الفترة الممتدة ما بين شهر أبريل وأكتوبر ، وأحيانا في الشتاء وهي رياح السركو المحملة بالأتربة الصحراوية وهي رياح ضارة مسببة آفات للمحاصيل الزراعية .

أما الحرارة ونظرا لبعد المدينة عن البحر فانها تتأثر بعاملين هما :

أـــ وجودها في منخفض بين الهضاب وانتمائها للمنطقة الداخلية .

ب ـــ قلة الغطاء النباتي .

هذان العاملين جعلا جو حمو موسى يتميز بالحرارة ضيفا والبرد الى حد ما شتاء .

وأما التساقط فان موقع مدينة حمو موسى ضمن خط المنطقة الداخلية جعلها تتلقى كمية من الأمطار تتراوح ما بين 400 و 500 ملم على شكل أمطار وبرد أما الثلوج لا تسقط الا بالمرتفعات المجاورة والتي لا تتجاوز أيامها المطيرة 45 يوما في السنة تقريبا ، وتتركز الفترة المطيرة ما بين شهري أكتوبر ومارس ، وبقية الأشهر يتمثل فيها الجفاف ، وهو مناخ متذبذب عموما ، وغير منتظم .

أما الثلوج فانها تنزل بكميات قليلة على مرتفعات بوركبة ومنكورة ولا تتجاوز مدة بقائها أكثر من أربعة أيام في حالة الذوبان وانخفاض درجات الحرارة وبعث سمومها على المناطق المجاورة كما تعتبر مصدرا هاما من مصادر المياه الجوفية التي تنفجر على شكل عيون ، ويعود الفضل في ذلك الى الكتلة الجبلية الشيستية التي تعمل على ترشيح مياه التساقط وهي مياه تتميز بالنقاء والصفاء صالحة للشرب ، وري بعض البساتين المحدودة المساحة الا أنها ومع الأسف بالاضافة الى كونها قليلة ، فغير مستغلة استغلالا كافيا .

الحياة الديموغرافية :

من أصعب المشاكل التي تعاني منها مدينة حمو موسى وما جاورها هو مشكل السكان ، يظهر ذلك من التطور الديموغرافي السريع ، حيث أن نسبة الشباب الذين هم أقل من 20 سنة تمثل 58 % كما أن انتشار البطالة وقلة المنتجين الذين تبلغ نسبتهم 14,5 % من مجموع السكان البالغ عددهم 19.224 نسمة حسب احصاء 1977 مع العلم أن نسبة المواليد بلغت 55,7 في الألف أما نسبة الوفيات 23,5 في الألف وبذلك تكون الزيادة الطبيعية 32,2 في الألف .

الذكور يمثل 50,25 % في حين يمثل عنصر الاناث 49,75 % ومما يلاحظ ان نسبة الذكور أعلى من نسبة الاناث ، وتبلغ الكثافة العامة للسكان 156 نسمة في الكلم المربع .

حمو موسى بعد الاستقلال :

مثل بقية البلديات فان حمو موسى ورثت حملا ثقيلا زاد من مشاكلها سواء في الميدان الاداري أو الاقتصادي أو الاجتماعي والثقافي .

فمن الجهة الادارية فان التقسيم القديم الذي كانت فيه منطقة بني وراغ تنتمي كلها الى ادارة مدينة حمو موسى ، في السنوات الأولى من الاستقلال قسمت الى بلديات كما زاد عدد البلديات ابان التقسيم الجديد لعام 1984 لأن الوضعية الأولى لا تساعد على تطوير المنطقة .

أما من الجهة الاقتصادية فقد كان هذا الجانب مخربا نتيجة السياسة الاستعمارية التي طبقت في السنوات الأخيرة من الاحتلال ، أراضي محروقة ، مؤسسات عاطلة ، صناعة معدومة نهائيا مما نتج عن هذا مشكل آخر وهو المشكل الاجتماعي فالبطالة منتشرة والجوع والفقر والأمية زيادة على ارتفاع نسبة الولادات حيث بلغ عدد السكان 1966 ــ 13290 نسمة يزدادون بمعدل 3,5% أما في ميدان التربية فان الاستعمار لم يعمل على تعليم الشعب الشيء الذي أدى الى جمود فكري وثقافي .

لذلك عملت الدولة على ايجاد حلول لهذه الوضعية ولو بصورة أولية ، ففي الميدان الاداري زادت البلديات الى ستة ، وهذا طبعا قد تم منذ السنوات الأولى من الاستقلال ، وفي

التقسيم الاداري 1984 اصبح عدد البلديات 10 في المنطقة التي كانت تنتمي كلها الى مدينة حمو موسى ، كما أوجدت الدولة المجالس الشعبية في اطار العمل على اللامركزية .

أما في الميدان الثقافي فقد ارتفع عدد التلاميذ عام 1971 الى 628 216 في بلدية حمو موسى وحدها كما ارتفع عدد المدارس الى 11 مدرسة ابتدائية وتكميلية بعد المخطط الرباعي الأول .

أما في الميدان الاقتصادي نظرا لقلة الأراضي الزراعية المسيرة ذاتيا بها نجدها قد قسمت على المزارع المجاورة لها في كل من مزرعة عين طارق ومزارع الاحلاف ، أما الصناعة فلكون المنطقة فقيرة للثروات الباطنية الشيء الذي جعلها تفتقر صناعيا ، ونظرا لكون بلدية الرمكة المجاورة لها تحتل الصدارة في المناطق الغابية والتي بها أكثر من 000 14 هكتارا من الغابة الصنوبرية والفرنان المعروف ب (البهش) ساعدت على قيام وحدة النجارة بحمو موسى لصناعة الأدوات المدرسية بجميع أنواعها ، ومواد البناء المختلفة والتي تقرر فتحها في شهر جوان 1984 م .

أما في الميدان الصحي فان هذا القطاع مازال يشكو عجزا رغم المجهودات التي بذلت لاصلاح هذا القطاع فلا نجد في هذه المدينة الا مستوصفا واحدا يعود تاريخه الى العهد الفرنسي ، وانشاء عيادة لا تزال في طور البناء .

هذا كل ما يتعلق بالوضعية السائدة بعد الاستقلال

حتى عام 1984 م وقد تقرر على اثر المخططات الانمائية كالمخطط الرباعي الثاني والخماسي الأول انشاء ثانوية لاستعاب تلاميذ البلديات العشر المجاورة ، واضافة مدارس ابتدائية بها ومراكز صحية موزعة حسب الاحتياجات ، وهذا علاوة على توسيع نطاق السكن وبناء سكنات جديدة واعادة شق قنوات المياه العذبة ، وتعبيد الطرق تمهيدا لربطها بشبكة من المواصلات مع مختلف البلديات المذكورة .

بهذا نكون قد ألقينا صورة بسيطة على مدينة حمو موسى ونواحيها تاريخيا وجغرافيا ، وهذا لا يعني أننا قد ذكرنا جميع المعلومات التي تتعلق بالمدينة والمنطقة التي تنتمي اليها ، انما حاولنا قدر الامكان أن نلم ما أمكن الالمام به نظرا لقلة المصادر وعدم وجود كتب حديثة وقديمة تتطرق للموضوع .

المراجع والمصادر

1 ــ اثبات من وصف الكاتب الروماني صالوست ــ عن يوغرطة والاحتلال الروماني للشمال الافريقي .

2 ــ تاريخ الشمال الافريقي لشارل أندري جوليان .

3 ــ تاريخ الجزائر القديم والحديث للشيخ مبارك الميلي .

4 ــ كتاب العبر وديوان المبتدء والخبر ، عبد الرحمان بن خلدون .

5 ــ تاريخ الجزائر للأستاذ التوفيق المديني .

6 ــ تاريخ الجزائر لعبد الرحمن بن محمد الجيلالي ج2 1375 هـ ــ 1955 م المطبعة العربية الجزائر .

7 ــ مذكرات الوكيل يوسف المازوني باللغة الفرنسية .

8 ــ مقتبسات واستفسارات عن مشايخ الناحية وما احتفظت لنا به الأخبار المحلية بالمنطقة .

9 ــ ثلاثة صور فتوغرافية ملونة ، لكل من الأبراج الرومانية بالناحية ، والقاعدة العسكرية الفرنسية بالمدينة .

فهرس الموضوعات